العماد عون في حديث مع السفير

السفير ٢٠٠١/٢/١٢

إلام سيبقى العماد ميشال عون في فرنسا؟ وإلام سيستمر ملفه من دون حسم فعلي؟ فهو لا يزال يؤكد أن المسألة سياسية، ولأنها كذلك فهو يعتبر أن مبادرة رئيس الحكومة رفيق الحريري ماتت في مهدها، أما أسباب موت هذه المبادرة التي كان من شأنها تشجيعه على العودة الى لبنان فلا يجد لها المعارض الوحيد الباقي في باريس بعد وفاة العميد ريمون اده وعودة الرئيس السابق امين الجميل، سوى تفسير واحد مفاده أن ثمة أطرافا في لبنان وسوريا لا تريد عودته.

ومن هي هذه الأطراف بالضبط؟ ولماذا لا تريد عودته؟ يتجنب ميشال عون في حديثه هذا ل<<السفير>> ايراد اسماء ويفضل اعادة الكرة الى الملعب الحقيقي اي الملعب السياسي فيقول <<لا شك في أني أخيفهم وأن مواقفي تخيفهم وهم لا يقبلون بمن يسمي الأشياء بأسمائها ويفضلون ان يبقى الوطن مرتهنا لقرار خارجي>>.

لا يرى العماد عون كثيرا من المتغيرات في الخطاب الرسمي السوري حيال لبنان، فهو بعد أن توقع ان يحل التغيير الذي رفع الكثيرون شعاره منذ وصول الرئيس بشار الأسد ال السلطة، لم يلمس هذا التغيير في الحديث الأخير الذي ادلى به الرئيس السوري لصحيفة <<الشرق الأوسط>>.

وهو يتساءل عما يعنيه الأسد بعدم ربطه دخول الجيش السوري الى لبنان بمفهومي الانغلاق والانفتاح، ويرى ان الخطاب السوري لا يزال في هذه الحالة على ما هو عليه بشأن العلاقة مع لبنان بحيث ان لا نية للسوريين بالخروج وإقامة علاقة بين دولتين. ويقول عون <<نسمع كلاما كثيرا عن الانفتاح ولكننا لا نلمسه ونراه>>، إلا أنه يحبذ عدم الخوض كثيرا بالموضوع قبل القراءة المتأنية لحديث الرئيس الأسد. وكل ما يود العماد المقيم في باريس منذ انتهاء مدة نفيه (خمس سنوات) التي لم يعترف بها أصلا والتي كان في خلالها أقام في مارسيليا ومنطقة لاهوت ميزون قرب باريس، كل ما يود قوله هو انه ينبغي عدم <<الضحك على الذقون>> في مسألة التهويل بقدوم أرييل شارون الى رئاسة الحكومة في إسوائيل على انه عامل جديد لبقاء الجيش السوري في لبنان، وهو يحرص كعادته على التمييز بين العلاقة الضرورية بين الدولتين والحرص على مصالحهما وتعاونهما وعلى العلاقات الاخوية مع الشعب السوري وبين سيادة الدولتين وعدم التبعية، ويضيف <<ثمة تناقض واضح في كلام الرئيس بشار الأسد>>.

ويضيف <<ان المرفوض هو مبدأ الهيمنة، ونحن لا نزال في واقع الهيمنة برغم كل ما نقرأ ونسمع من تصريحات عن الانفتاح>>. ولكن ما دامت هذه هي القناعة الراسخة عند عون، فلماذا لجأ إذاً إلى القضاء وقدم دعوى قدح وذم ضد <<المصادر>> التي يقول انها تشوه سمعته منذ طرح الحريري مبادرة العودة، يقول <<اني اريد ان اضع القضاء على المحك، فهذه تجربة ضرورية لكي يثبت القضاء فعلا حياده، وأنا أتساءل دائما كيف ان القضاء يريد ان يكون نزيها ولم ينطق احد بكلمة ضد كل ما سيق زورا وبهتانا ضدي. فلو كان لدى السلطات اللبنانية ملف جدي واحد متعلق بالاموال او غيرها مما تدعي لكانت استخدمت كل الوسائل للكشف عنها ولكن بما ان الملف خال تماما من اي ذريعة لمهاجمتي فهم يلجأون الى هذا الاسلوب الرخيص من تشويه سمعة الناس. ولذلك أعتقد ان القضاء مطالَب اخلاقيا وقانونيا باتخاذ موقف وايضاح الامور، فلتُفتح كل الملفات وليحاسَب الجميع وأنا أول من طالب بذلك، وتحديت الجميع ان يقدموا ملفا واحدا ضدي>>.

ويعتقد العماد عون ان النشء الجديد والجيل الصاعد من الشباب في لبنان هو الذي يتأثر اكثر من غيره بمثل هذه التسريبات والشائعات، ولا سيما أنه لا يعرف الكثير عن تلك الفترة من التاريخ الحديث للبنان، وهو يؤكد أن كل شيء موثّق في أدراج الدولة ويرى أن ثمة مهزلة تجري كلما جاء وزير مالية جديد بحيث يصار الى الحديث عن الملفات المالية ثم يطوى الموضوع. ويقول <<إن النشء الجديد لا يعرف تحديدا ما الذي جرى، فهم (أي بعض من في السلطة اللبنانية) تحدثوا كثيرا عن مواضيع واهية ولم يشرحوا اين وكيف جُمعت وصُرفت الاموال وما اذا كان الامر يتعلق بتبرعات او دين ام أمانة>>. وانا اكرر اليوم الدعوة لكي يحسم القضاء امره مع إدراكي المسبق بأن النوايا سياسية وهي تهدف الى منع عودتي او إهانتي لو عدت الى لبنان>>.

هل يعني ذلك أنك لن تعود ولا سيما أنك تعتبر ان مبادرة الحريري ماتت في المهد؟ يجيب عون <<لا، مبدأ العودة قائم منذ اللحظة التي اضطررت فيها لمغادرة لبنان. وعلى كل حال هناك بدائل أخرى يمكن اللجوء إليها، أنا أعرف أن عودتي لا تريح أحداً، لا الحكم ولا السوريين، ولكني لست على استعداد للتنازل عن شيء>>. وهل جرى أي اتصال بينه وبين الحريري منذ انطلاقة المبادرة؟ <<لا، لم يحصل أي اتصال، المبادرة انطلقت من الحريري ووقفت عند هذا الحد، ثم جاءت المصادر المجهولة المصدر، فمن هي هذه المصادر. هذه أول مرة أسمع أن أحداً يتهم الآخر من دون أن يكشف عن اسمه، وهكذا يشتمون الناس ويهينون كراماتهم باسم المصادر وتحت شعارها. لا بل حتى الصحف، طبعا أنا لا أريد مهاجمة الصحف وحريص جدا على حرية التعبير، ولكن حتى الصحف شاركت في الترويج لهذه المصادر وهو ما يتناقض مع الحد الادنى لاخلاقيات المهنة. والآن تم تكليف المحامي محمد مطر ويقولون ان المحاكمة ستكون جدية، أنا لا أستطيع الايمان بالجدية التي تحدثوا عنها أكثر من مرة ولكن لا بأس فلنعط القضاء فرصته ليكون عادلا ونزيها>>.

وماذا عن شارون ولبنان؟ يقول عون <<لن يخرب شارون أكثر مما خرب العماليون. ولذلك فلا ضرورة لإخافتنا، تذكرون أن أكثر الأعمال عدوانية ضد لبنان جرت في السنوات التي كان فيها العماليون في السلطة أكان ذلك عام ١٩٩٣ أو ١٩٩٦ أو غيرهما، ولم يكن باراك أفضل من غيره ولم يتوصل الى أي اتفاق>>.

والحديث عن شارون يجر الى الحديث عن مجازر صبرا وشاتيلا وسعي الجميع للتنصل منها، فأين كان الجنرال عون آنذاك؟ يقول عون <<أنا ساهمت في لملمة القتلى، وعلى كل حال، كل ما يتعلق بمجازر صبرا وشاتيلا مسجل وكنت آنذاك مسؤولا في بيروت. وحين قيل لي ان مجازر وقعت اتصلت بألوية الجيش وطلبت منها التوقف في مكانها وأرسلنا آنذاك المدعي العام العسكري وطلبت ان يتم تسجيل كل شيء، وربما ينسى الجميع ان شارون نفسه قال في خلال إجاباته على لجنة التحقيق أنه لم يستطع التحادث معي ولا التأثير علي أو إقامة أي علاقة معي>>. أما أرقام القتلى آنذاك فيرى الجنرال عون أنه حصلت مبالغة فيها.

انتهت فعلا مبادرة الحريري؟ فهل سيبقى ميشال عون طويلا بعد في فرنسا لأسباب لا يعرفها أحد؟ وهل يمكن حل القضية قضائيا إن لم يكن ثمة قرار بحلها سياسيا؟ أسئلة ستبقى ربما معلقة طويلا بالرغم من ان عودة عون ربما تكون كعودة الجميّل <<قنبلة إعلامية>> في البداية ثم تهدأ ما دام الرجل بات مقتنعا بأن الحلول العسكرية لم تعد تنفع وأنه يستطيع استكمال مشروعه بالسياسة.